مفهوم التشاكل وآلياته في النقد المغاربي المعاصر

The concept of isomorphism and itsmechanisms in the contemporaryMaghrebiancriticism

لعياضي محمد1

مشري بن خليفة♣

تاريخ الإرسال: 2021/03/04	تاريخ القبول: 2021/04/04	تاريخ النشر: 2021/09/15

الملخص:

تنوعت المصطلحات والآليات النقدية في النقد الأدبي المعاصر، وتعددت مشاربها، لا سيما تلك التي تم أخذها من حقول معرفية عديدة (رياضيات، فيزياء،...)، ومن بين تلك الآليات نجد **التشاكل**، الذي نقل من ميدان الفيزياء إلى ميدان النقد الأدبي، ولذلك حاولنا من خلال هذا البحث اكتشاف مفاهيمه وتطبيقاته عند بعض النقاد المغاربة المعاصرين، وأسبقناهم بتجلياته في النقد الغربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: مفهوم التشاكل، عبد المالك مرتاض، عبد القادر فيدوح، محمد مفتاح.

Abstract:

The terminology and critical mechanisms of contemporary literary criticism have varied, and their approaches have also varied, especially those taken from many fields of knowledge (mathematics, physics, ...), and among those mechanisms we find isomorphism, which was transferred from the field of physics to the field of literary criticism. Through this research, we tried to discover its concepts and applications among some contemporary Maghrebian critics, and we preceded them with its manifestations in contemporary Western criticism

. The key words: The concept of isomorphism - Abd al-Malik Mortad - AbdelkaderFaidouh - Mohammed Meftah.

المؤلف المرسل: لعياضي محمد mouhgam1200@gmail.com

1محمدقسم الغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله. mouhgam1200@gmail.com

♣أ.د مشري بن خليفة، جامعة الجزائر2 mechribk@gmail.com

. مقدمة:

شكّل سؤال المنهج مكونا رئيسيا من مكونات الخطاب النقدي العربي المعاصر الذي تولّد فيه، وعيٌ نقديّ بضرورة التأسيس المنهجي الذي يكفل للعملية النقدية مقاربة النصوص الأدبية واستنطاقها، وكشف بنياتها الدلالية كشفا منسجما مترابطا من أجل تحقيق نتائج نقدية دقيقة وعلمية، بعد أن كانت تهيمن على النقد الأدبي النزعات الذاتية والانطباعية والسياقية التي ابتسرت المعرفة النصية واختزلتها في قراءات طباقية تعلي من شأن الأفكار وتطابق بينها وبين الأيديولوجيا. فلقد أخذ النقد الأدبي يروم الوصول إلى الأحكام العلمية حتى إنه قطع علاقته مع النقد الانطباعي، ولذلك تعددت الرؤى والآليات المنهجية التي قاربت النصوص الأدبية، منطلقة من مفاهيم فلسفية ومعرفية مختلفة كالرياضيات، والفيزياء، والطب، ... ومن تلك المفاهيم والآليات نجد: **التناص، المقصدية، التفاعل، والتشاكل**، هذا الأخير الذي نقل من ميدان الفيزياء إلى ميدان النقد الأدبي، إذ أردنا من هذا البحث أن نبحث عن مفاهيمه وتطورها عند النقاد الغربيين أمثال **"غريماس" و"كورتيس"**، ثم تجلياته في النقد العربي مركّزين على المدونات النقدية المغاربية المعاصرة، وقد اخترنا من بينهم الأكثر استعمالا للمصطلح وهم: **عبد المالك مرتاض وعبد القادر فيدوح** من الجزائر، **ومحمد مفتاح** من المغرب، وبما أن لمصطلح التشاكل مرجعية معرفية قد انطلقنا من إشكالية تبحث عن مفاهيم هذا المصطلح، وآلياته، وتجلياته، وهي:

- **ما مفهوم التشاكل؟ وما هي آلياته؟ وكيف تجلى في النقد المغاربي المعاصر؟.**

وللإجابة على هاته التساؤلات فإننا حاولنا إماطة اللثام عن هذا المصطلح، وآلياته، وتجلياته في النقد المغاربي المعاصر من خلال النماذج المذكورة سابقا، وكيفية التعامل معه إجرائيا، فتناولنا هذا المصطلح من كتاب **"نظرية القراءة"** لعبد المالك مرتاض، وكتاب **"دلائلية النص الأدبي"** لعبد القادر فيدوح، ثم تجلياته في اعمال محمد مفتاح مركّزين على كتاب **"تحليل الخطاب الشعري"**.

2.التشاكل عند النقاد الغربيين:

إذا تتبعنا مصطلح التشاكل (**Isotopie**) بمفهومه السائد في الدراسات النقدية والأدبية السيميائية المعاصرة نجده قد تأسس عند الغربيين وتبلور لديهم، ولهذا سنرى بعض إرهاصات التطور الذي حققه المصطلح تاريخيا بعد وضعه من خلال بعض المصطلحات

التي قد تكون ساهمت في ولادة هذا المصطلح، ويشير "رشيد سوسان" إلى أن **"ما كان يستعمل قبل التشاكل من مصطلحات ومفاهيم لتحليل الخطاب قد يكون له إسهام – بشكل مباشر أو غير مباشر- في ظهور مصطلح التشاكل في الدراسات الأدبية والسيميائية المعاصرة؛ فمفاهيم مثل التماثل المورفيمي (Isomorphisme)، أو مبدأ الموازاة عند ياكبسون (R.Jakobson)، أو مبدأ التوازي عند جان كوهن (Jean Cohen)، أو العلاقات المكانية عند تزفيطانطودوروف (T.Todorov)، وغيرها من المفاهيم اللسانية والشعرية والسيميائية، قد تكون نواة أولية بشّرت في خفاء بظهور تقنيات وأدوات أخرى نقدية وتأويلية لدراسة النص وفك ألغازه، ومن هذه الأدوات (التشاكل) بمفهومه عند كريماص ومن جاء بعده".**[1]()

لقد أشار أكثر من مرجع إلى أن أول من وظف مصطلح "التشاكل" هو السيميائي "غريماس" حيث عرف التشاكل بأنه : **"مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية (أي المقومات) التي تجعل قراءة متشاكلة للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حل إبهامها، هذا الحل نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة".**[2]

وعرّفه أيضا في معجمه بأنه: **"تكرار سلسلة تركيبية لمجموعة من الكلاسيمات (Classèmes) التي تضمن للخطاب الملفوظ تجانسه".**[3]

وهكذا يبين غريماس في معجمه أن "التشاكل" قد يأتي على صور منها: التشاكل النحوي، والتشاكل الدلالي والتشاكل العاملي، والتشاكل الجزئي، والشاكل الكلي، والتشاكل السيميائي، والتشاكل التصويري، والتشاكل التيمي أو الموضوعاتي... [4]

ثم جاءت المعاجم الاصطلاحية بعد غريماس فتلقفت مصطلح التشاكل واحتضنته، ثم استخدمه المتخصصون في الدراسات النقدية السيميائية، مما جعل هذا المصطلح يعرف انتشارا واسعا في العديد من المؤلفات النقدية.

وفي إطار ما قاله المتخصصون في الدراسات النقدية والسيميائية واللسانية، نشير إلى بعض النماذج التي حاول كل منها توضيح مفهوم التشاكل، وتوسيعه، وتطبيقه في دراسات متنوعة ليجعلوا منه معيارا فعالا للتحليل، وأداة ناجعة للتأويل. وقد جمع "رشيد سوسان" أربعة نماذج بعد غريماس وهي:

1.2 فرانسوا راستي (François Rastier):

لقد حاول راستي أن يمطط مفهوم التشاكل ويوسعه، ذلك في دراسته "نسقية التشاكلات" وقد عرف التشاكل بأنه "كل تكرار لوحدة لسانية لغوية".*

2.2 جوزيف كورتيس (GosephCourtès):

يتجلى إسهامه لتعميق مفهوم التشاكل في دراستيه السيميائيتين: (التحليل السيميائي للخطاب _من المفوظ إلى التلفظ) و (سيمياء اللغة)، إضافة إلى مشارمته في إنجاز معجم مع غريماس.

3.3 جماعة مو (Groupe Mu):

حاولت هذه الجماعة أيضا توسيع مفهوم التشاكل في كتاب "بلاغة الشعر"، حيث عرفت التشاكل بأنه "خاصة مجموعات محددة من وحدات الدلالة المؤلفة من تكرار لمقومات متماثلة، ومن غياب مقومات مبعدة في موقع تركيبي تحديدي ".

3.4 برونوين مارتن (Martin.B) وفليزيتاسرينجهام (F.Ringham):

تعرِّفان التشاكل (التناظر) بأنه: "يشير إلى مجموعات السيمات المتكررة التي يؤدي وجودها إلى تثبيت الدلالة في انسياب النص. وعلى هذا فالنظائر –على سبيل المثال- تمكننا من الاستمرار في حل شفرة نص ما، وغيابها من الناحية الخرى يقضي إلى خلخلة الدلالة الذي يمكن أن يكون بالطبع ما يحاول المؤلف أن يحققه".[(5)]

3.التشاكل عند العرب:

1.3 لغة:

عرفه ابن منظور في باب مادة (شَكَلَ) بقوله: **"الشكل بالفتح: الشبه والمثل، والجمع أشكال وشكول ... وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه ... والشكل: المثل، نقول: هذا على شكل هذا أي على مثاله، وفلان شَكْلُ فلان أي مثلُه في حالاته ويقال: هذا من شكل هذا أي من ضربه ونحوه، وهذا أشكل بهذا أي أشبه، والمشاكلة المو افقة، والتشاكل مثله".** [(6)]

وقال عنه الفيروز أبادي: **"الشَّكْلُ: الشَّبَهُ، والمِثْلُ، ويُكْسَرُ، وما يو افقكَ، ويصلُحُ لك، تقول هذا من هَوايَ ومن شَكْلِي، ... والمُشاكَلَةُ: المُو افقَة كالتَّشاكل وفيه أَشْكَلَةٌ من أبيه، وشُكْلَةٌ بالضم، وشاكِلٌ، أي شَبَهٌ، وهذا أشْكَلَ به أي أشْبَه".** [(7)]

أما معجم السرديات الذي أشرف عليه "محمد القاضي" فقد عرّف التشاكل بقوله: **"الملفوظ المتشاكل هو ذلك الذي يحمل تكرارا يوفّر انسجام معناه"**[8]

فالتشاكل يظهر من خلال التعاريف المعجمية السابقة لمادة (ش ك ل)، متشعباً ومتدد اخلا، على أن أغلب استعمالاته تدل على المماثلة والمشابهةوالانسجام، وهذا ما قرره ابن فارس بعبارة جامعة: **"الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة".** [9]

2.3 اصطلاحا:

إذا أردنا الحديث عن مصطلح التشاكل عند العرب فإنه من الأولى الحديث عن جهود العرب الأوائل الذين لم يستنكفوا جهدا في محاورة العلوم والمصطلحات حتى وإن وسمت هذه الجهود من قبل الكثيرين بالسطحية ووقوفها عند حدّ الإشارة دون التنظير إلا أنها تبقى أولا وأخيرا جهودا لابد من الإشارة إليها ومناقشتها.

وقد بدأت ملامح مصطلح التشاكل بالظهور متبوعا بمصطلح آخر من جنسه ألا وهو" المشاكلة" ونجد هذا المصطلح متداولا بشكل كبير في المصنفات البلاغية القديمة، إلا أن المتتبع لمصطلحات أخرى يلمس فيها تجانسا مع مفهوم التشاكل ومن هذه المصطلحات: (الطباق، والمقابلة، واللف، والنشر)، التي يظهر فيها التعالق بين المقومات المعنوية. وكذلك مصطلحات أخرى منها: (المزاوجة، والتصدير، ورد الإعجاز على الصدور والترديد، والمماثلة)، كما يقصد بها البعض التناسب في النظم والتلاؤم في الألفاظ مع السياق، فيعتبر هذا إرهاصا لمفهوم التشاكل لدى الكثير من النقاد المعاصرين.[10]

ويوجد نص مأثور لعالم الفلك والأجرام **عمر بن مسعود المنذري** (ت 1160هـ)يستعمل فيه مصطلح المشاكلة لكنه أضفى عليه أبعادا تتجاوز المعطيات اللغوية إلى معرفة عميقة للموجودات وللوعي الإنساني وذلك في كتابه : كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية و الرقوم الحرفية يقول في إحدى المواضع من هذا الكتاب: **"واعلم أن الأشياء المتشاكلة على ثلاث مراتب أحدها أن تكون متشاكلة في الكيفيتين أعني الفاعلة والمنفعلة معا كالحار واليابس مع الحار اليابس وهذا أقوى أنواع المشاكلة**

وثانيها أن تكون متشاكلة في الفاعلتين فقط مثل الحار الرطب والحار اليابس وثالثها أن تكون في المنفعلتين فقط مثل اليابس الحار واليابس البارد وهذه المرتبة دون المرتبة الثانية لأن المنفعل يكون أضعف في الفاعل".[11]

وعلى الرغم من أن نظرة المنذري تخص المقابلات والمتشاكلات في عالم المحسوسات والماديات من الموجودات، وهي بمنأى عن المعطيات اللغوية إلا أنها تعد إضافة، حتى وإن كانت بعيدة عن مجال تحليل الخطاب الأدبي، ومن شأن هذه الرؤية أن تتحول إلى إضافة في سيمياء التشاكل .

ويطلق ابن رشيق (ت 406هـ) على المشاكلة مصطلح (التصدير)، ويذهب في تعريفه بأنه: **"رد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض، ... ويكسب البيت الذي فيه أُبَّهةً، ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة".**[12]

وقد تناول ابن الأثير (ت 737 هـ) المصطلحات السابقة في باب واحد وهو المشاكلة فقال: **"... وهذه الأبواب مادتها واحدة، لكن فرّق أهل البديع بينها بفروق، وقالوا : الترديد: ما تردد لفظه في البيت سواء كان أولاً أو آخرا، والتصدير: ما كان أحد اللفظين في صدر البيت والآخر في عجزه، وهو أيضا المسمى (رد الإعجاز إلى الصدور)، وأما التعطف: فهو أن تكون إحدى الكلمتين في المصراع الأول، والأخرى في المصراع الثاني، وكذلك المشاكلة، وحاصل الأمر، أن هذه الأنواع كأنها مادة واحدة، وشواهدها متقاربة، وهي باب واحد".**[13]

4. التشاكل في النقد المغاربي المعاصر:

وبالنسبة **للنقد العربي المعاصر** فإن مصطلح التشاكل السيميائي ومدى حضوره لدى النقاد، سيكون الحديث فيه مقتصرا على النقاد الأكثر استعمالا للمصطلح في منجزاتهم النقدية تنظيرا أو تطبيقا، حتى نضمن عدم دخولنا في متاهة الحديث عن هذا المصطلح لدى كل النقاد المعاصرين الذين قد كانت لهم فرصة الحديث عنه.

ففي إطار المثاقفة الحاصلة بين الفكرين العربي والغربي عن طريق الترجمة والتي نشطت في الوطن العربي بشكل لافت للانتباه، يمكن رصد طابع هذه المثاقفة في المنجز النقدي العربي الحديث وتحديدا في ما يهم حديثنا هنا حول مصطلح التشاكل عند ثلة من النقاد أبرزهم: محمد مفتاح (المغرب)، عبد الملك مرتاض (الجزائر)، عبد القادر فيدوح (الجزائر)،

1.4 التشاكل عند عبد المالك مرتاض:

يرى عبد المالك مرتاض أن الأصل في مصطلح "التشاكل **Isotopie** " مأخوذ من اللغتين الفرنسية والإنجليزية معا، ومن جذرين إغريقيين وهما (**Isos**) ومعناه يساوي أو التساوي، و (**Topos**) ومعناه المكان، ثم جمع بينهما في لفظ واحد مركب من جذرين اثنين فقيل: (**Isotopie, Isotopy**)، وهذه التركيبة المكان المتساوي أو تساوي المكان وقد عرّبه مرتاض إلى مصطلح (**إيزوتوبيا**).[14]

ويعرف عبد المالك مرتاض "التشاكل" بأنه: **"تشابه العلاقات الدلالية عبر وحدة ألسنية إما بالتكرار أو التماثل أو بالتعارض سطحا وعمقا وسلبا و إيجابا".**[15] ومن خلال هذا التعريف فإن –مرتاض- يوسّع هذا المفهوم فيجعله أداة تركيبية لوحدات لسانية وأضاف له نوعا من التعميم والتنويع ليشمل مكونات الخطاب؛ الصوتية والتركيبية والمعنوية.

والتشاكل بهذا المفهوم نجده عند كل من (راستي**F.Rasttier**)، و(ميشال أريفي **M.Arrive**) وقد أرود لهما عبد المالك مرتاض تعريفا للتشكل في كتابه: "نظرية القراءة"، واللذين يعرفان التشاكل على أنه: **"نواة تركيبية لوحدات لسانياتية، ظاهرة أو غير ظاهرة، منتمية إما إلى التعبير، وإما إلى المضمون، أو هو بوجه عام تكرار لوحدات لسانياتية".**[16]

غير أن تعريف مرتاض يمكن أن نلمح فيه العديد من الملاحظات أهمها اعتماده على المفهوم الغربي كأساس خاصة من ناحية دور التشاكل بالنسبة لخدمته للدلالة، إلا أن هذا لا ينفي اجتهاد مرتاض في مفهوم التشاكل. حيث يظهر في إشارته إلى أمر لم يشر إليه أصحاب مدرسة باريس ألا وهي طريقة إنشاء التشاكل أو مسببات وجوده في الخطاب الأدبي الأمر الذي أطلق عليه مرتاض: التكرار، التماثل...

ويذهب عبد المالك مرتاض في تحليله السيميائي أن نظرية القراءة تنهض على جملة من الأسيقة:

- ارتباط النص الأدبي بمجموعة من العناصر الأدبية التي تجعل من تلك السمات اللفظية ترتبط ببعضها عن طريق التشاكل أو التباين.
- قيام النص الأدبي في أحوال تشاكله، وتباينه، وتماثله، على تراكم الانتشار والامتداد أكثر مما يقوم على تراكم الانحصار والاحتياز
- الاجتهاد في قراءة النص الأدبي داخل التشاكل اللفظي والمعنوي معا.[17]

4. 2 التشاكل عند عبد القادر فيدوح:

أما إذا انتقلنا إلى مفهوم التشاكل عند **عبد القادر فيدوح** ، والظاهر في كتابه الموسوم بـ: **"دلائلية النص الأدبي"** نجده ينحو نحوا مغايرا بمصطلح التشاكل إلى أدبية التأويل أو بحسب إملاءات الفهم التأويلي، ويتجه فيدوح في كتابه سالف الذكر من مبادئ السيميائية مستمدا منحى تحليله من التراث الفلسفي، والموقف التاريخي ليضيف إلى رصيد المعرفة بالنص منحى تأمليا يغوص في باطن النص. وفيدوح بعد إحاطته بما جاء به غريماس وتلاميذه أراد هو أيضا توسيع مفهوم التشاكل لينفتح به على أفق التأويل الواسع في نطاق من التلقي الحر الذي لا يحدد مقصدية معينة للمتلقي، وإنما يترك له الحرية في استجابة خاصة تخضع لمعارفه وأفق تقبله ووفق ما ينسجم مع رؤيته، فالتشاكل لديه يجمع بين الجمالية والتأثرية والانفعالية، وبرؤيته هذه يقوم التشاكل عنده جسرا بين محمد مفتاح وعبد المالك مرتاض.[18]

وقد تحدث "رشيد بن مالك" عن التشاكل، في قاموسه"مصطلحاتالتحليلالسيميائيللنصوص" تحت مصطلح (إيزوتوبيا**Isotopie**) حيث قال: **"تضمن الإيزوتوبيا التحام الرسالة أو الخطاب، وهي بمثابة المستوى المشترك الذي يرد ممكنا اتساق المضامين ينبغي أن يفهم من المستوى المشترك ثبات بعض الأدلة على مستوى الجملة، يمكن ان يتحدد ثبات دلالة واحدة أكثر من مرة على امتداد السلسلة الجملية ليعطي إيزوتوبيا تؤدي إلى التحام مجموعة من السميمات التي تشكل الجملة".**[19]

وقد أورد "رشيد بن مالك" في قاموسه نموذجا تحليليا للبنيات العميقة في أسطورة "الرجل ذو المخ الذهبي" للكاتب الفرنسي (ألفونس دودي)، توظيفا مكثفا للتشاكل، وخاصة التشاكل السيميولوجي والتشاكل الدلالي ويسميهما (الإيزوتوبيةالسيميولوجية- الإيزوتوبية الدلالية).

كان هذا بعض ما عالجه النقاد العرب المعاصرين في مفهوم التشاكل، والملاحظ على كل هذه الدراسات و التعاريف البعد السيميائي الغربي فيها، ويظهر التأثر بالمفهوم الغربي واضحا وجليا كما اتضح اختلافهم المعهود حول ترجمة المصطلح من موطنه الغربي، حيث لاحظنا تشتت النقاد المعاصرين بين مترجم ومعرّب (تشاكل، مشاكلة إيزوطوبيا...)

4. 3 التشاكل عند محمد مفتاح:

لعل أبرز ما يواجه الباحث الذي يلج أعمال محمد مفتاح تلك القيمة المصطلحية البالغة الأهمية التي تزخر بها مؤلفاته، وذلك لحرصه الشديد على إيلاء المسألة الاصطلاحية - بشتى قضاياها- تلك العناية الفائقة وذلك الاهتمام الكبير، ولا سبيل إلى ضبط المصطلحات النقدية وبيان مفاهيمها إلا بالإقبال عليها تنقيبا وبحثا ودراسة وتصنيفا ومن هذا المنطلق وجب التعريف بمصطلح **"التشاكل (Isotopie)"** في أعمال محمد مفتاح، الذي استلهم هذا المصطلح من البيئة الغربية منوها بمجهودات **"غريماس Greimas"** والذي نقل –بدوره- مفهوم التشاكل من ميدان الفيزياء إلى ميدان اللسانيات.

حدد محمد مفتاح هذا المفهوم موضحا أن أول من نقل مفهوم "التشاكل" من ميدان الفيزياء إلى ميدان اللسانيات هو الفرنسي «غريماس» الذي احتل منذ ذلك الوقت مركزاً أساسياً لدى التيار السيميوطيقي البنيوي. وقد خضع هذا المفهوم لتطوّرات عدة انتقلت بين الباحثين والمفكرين، ليشمل في النهاية التعبير والمضمون. ثم قدم محمد مفتاح تحديده الخاص للتشاكل بعد مناقشة طويلة لتعاريف "غريماس" وجماعة (M) محاولا تجنب الثغرات التي رآها في هذه التعاريف، معرّفا إياه بأنه **"تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة".**[20]

فالتعريف إذا ما قورن بتعاريف أصحاب مدرسة باريس وجماعة **(M)** نجد فيه إضافات أهمها:إشارته إلى عنصر التداول الغائب في التعاريف الغربية السابقة، حيث أراد محمد مفتاح بالتداول علاقة المتكلم باستعماله اللغة بالمتلقي وبالسياق الضامن لسلامة

التواصل، كما أضاف إشارة أخرى جديدة وهي الإركام أو تكرار نواة معنوية موجودة من قبل، ويقصد بالنواة المكررة "التناص".

كما أن التشاكل لا يحصل إلا من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة، ومعنى هذاأنه ينتج عن التباين؛ فالتشاكل والتباين إذاً لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، باعتبار أن الظواهر العالمية والسلوك الانساني يتحكم فيها مبدآن هما (التشاكل والتباين)، وقد خصص محمد مفتاح الحديث عنهما في ميدان وحيد وهو الكلام الانساني، وخصوصا الخطاب الشعري، فبالتباين يحصل الفهم للنص المقروء، ويتحقق انسجامه، يقول: **"فالتشاكل والتباين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، و أنه هو الذي يحصل به الفهم الموحد للنص المقروء، وهو الضامن لانسجام أجزائه وارتباط أقواله، و أنه يتولد عن تراكم تعبيري مضموني تحتّمه طبيعة اللغة والكلام، و أنه هو الذي يبعد الغموض والإبهام اللذين يكونان في بعض النصوص التي تحتمل قراءات متعددة"**[21]

والتشاكل لا يحصل مفصولا عن مكونات الخطاب الشعري، وإنما يحصل بتشاكل عناصر، ولذلك وضع مفاهيم مثل تشاكل الصوت والمعنى، التشاكل المعجمي، التشاكل التركيبي ...

4. 3. 1 تشاكل الصوت والمعنى:

تحتل الدراسة الصوتية مكانا مرموقا في المقاربات الشعرية، سواء أكانت الأصوات مكتوبة على صفحة ترى بالعين، أو كانت متعلقة بما ينتجه المتكلم من أصوات أثناء تلفظه، أي (مواد صوتية و مواد كتابية) سيستثمران في دراسة الخطاب الشعري، فإذا ما استغلت كيفية النطق بالأصوات فذلك ما يدعى بـ **"الأسلوبية الصوتية"**، وإذا ما حاول القارئ أن يضع معاني للوقائع الصوتية والكتابية، فذلك هو **"الرمزية الصوتية Symbolisme Phonétique"**ولذلك قسّم تلك الوقائع إلى قسمين؛ الأول: **معطيات لغوية** (رمزية تشاكل الصوت، رمزية تشاكل الكلمة، ورمزية اللعب بالكلمات) والثاني: **معطيات موازية للغة** (الوزن، المقطع، والنبر).[22]

ويرى محمد مفتاح أن هذا اللعب اللغوي يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري، لأن الخطاب الأدبي قبل كلّ شيء لعب بالكلمات، واللعب بالكلام محكوم بقواعد تنظيمية وتكوينية، وهو اضطراري أو اختياري من قبل المتكلم تأليفاً، أو المتلقي تأويلاً؛ بمعنى أن هناك قواعد

صوتية وتركيبية ودلالية يجب أن تراعى وإلا أخطأ الكلام هدفه، وهي ما يدعى بالقواعد التكوينية.[23]

4. 3. 2 التشاكل على مستوى المعجم:

ينظر محمد مفتاح للتشاكل المعجمي انطلاقا من زاويتين مختلفتين؛ تركيبية، دلالية، فالأولى ترى في المعجم مكونا أساسيا وجوهريا تتأسس عليه بنية الجملة النحوية، فالمعجم والتركيب بحسب هذا النظر غير منفصلين، وقد أخذ هاته الرؤية انطلاقا من **"النظرية النحوية"**. وأما الثانية فإنها تنظر إلى المعجم من الزاوية الدلالية من خلال تناوله بـ **"الطريقة الأدبية"**، بحيث يصبح المعجم قائمة من الكلمات المنعزلة تتردد بنسب مختلفة في نص معين، وكلما ترددت بعض الكلمات بنفسها أو بمرادفها أو بتركيب يؤدي معناها كوّنت حقلا أو حقولا دلالية.[24]

وهكذا يقوم المعجم بدور مهم في التركيب والدلالة وخاصة بالنسبة للمحلل الأدبي والشعري، سيما وأن المعجم ليس مجرد قائمة من الكلمات منعزلة، بل نجد لكل خطاب معجمه الخاص وحقله الخاص، إذ للشعر الصوفي معجمه، وللمدحي معجمه، وللخمري معجمه، وبالتالي فإن المعجم سيكون وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب، وبين لغات الشعراء والعصور،حيث بناء على التسليم بأن لكل خطاب مفاتيحه ومحاوره التي يدور عليها الديوان أو القصيدة. ولهذا قسّم التشاكل المعجمي إلى:

المعجم والتركيب، المعجم قائمة، آليات توليف المعجم، تطور المعجم، المعجم بين القصدية والاعتباطية، وقراءة المعجم.

والملاحظ على هاته التقسيمات أنه ركّز على العلاقة الاعتباطية والقصدية للغة داخل المعجم، من خلال الاهتمام بأسماء الأعلام وصفا واشتقاقا، بالمقومات مشيرا إلى التقسيم الذي اتبعه وهو :

أ - **مقومات جوهرية أو ملاصقة وهذه تكون في جنس اللإنسان**

ب - **مقومات عرضية، وتصبح جوهرية مثل الكنية واللقب،**

ج - **وأعراض وهي ما يفرق بين إنسان و إنسان. ...**

4. 3. 3 التشاكل والتباين على مستوى التركيب (نحوي وبلاغي):

قسّم المؤلف التشاكل والتباين على مستوى التركيب إلى نوعين: التركيب النحوي والتركيب البلاغي، ففي الجانب النحوي نراه مركزا على الوظيفة التداولية للنحو، خاصة ما تعلق

منه بالتقديم والتأخير، وما يتركه تشويش الرتبة من نتائج معنوية تداولية، وكنه ركّز على الدراسات اللسانية الحديثة، باعتبارها تجاوزت الانطباعية وحاولت أن تستخلص قوانين بسيطة مجردة شمولية، ووضعت مفاهيم إجرائية عديدة أهمها: **"البؤرة Topic و التعليق Comment، والانفصال Dislocation، فـ (الدهر يفجع)، الدهر بؤرة ويفجع تعليق، ... وزيد من انتقده يسمى انفصالا، والفرق بين ما هو بؤرة وبين ما هو انفصال وجود ضمير عائد في الانفصال".**[25]

ثم فرق مابين البؤرة النحوية والبؤرة الخطابية، فالأولى تتحدد بموقعها وهي قابلة للتقعيد، والثانية مقصدية متعلقة بنوايا المتكلم والمتلقي، لأن هناك بنية نفسية وسياقا عاما وراء أي خطاب لغوي، ويرى أن الخطاب الشعري يتشكل بحسب تلك الأحوال.

وأما **التركيب البلاغي**فقد عالج فيه المؤلف الاستعارة والكناية والمجاز المرسل محددا الإطار النظري لمسألة الاستعارة منذ البداية،مستعرضا كثيرا من النظريات والآراء للقدماء والمحدثين الغربيين والعرب، منتصرا للاتجاه اللساني الذي ليس له تناول موحد بدوره، إذ **"هناك التناول اللساني البنيوي ومن أهم ممثليه (ياكبسون) و(ج. تامين) و(مولينو) و(ميتزطامبا). والمعالجة اللسانية التوليدية التي أبرزوجوهها (شومسكي) و (فان ديك) و(لوفان)، ... ومحاولات فلاسفة اللغة التي نجد (سورل) يقترح اهم معالمها، والدراسات اللسانية المستغلة للنظرية الجشطالتية التي تتجلى في دراسات (لاكوف) و(جونسون) و(بالمر)".**[26]

والاستعارة مبحث مهم شغل الكثير من الدارسين، لذلك عرض الناقد مجموعة من النظريات التي تناولت الاستعارة وهي:

- **الإبدالية (التشبيهية)**
- **والتفاعلية (التوترية)**
- **والتركيبية (العلاقية)**

وهذه النظريات تضم آراء بعض البلاغيين العرب خاصة (السكاكي والجرجاني) ومن ثم وضع مقارنة بينها وبين جهود الغرب من مثل (سورل، لاكوف، جونسون وبالمر)،وبمزيد من التفصيل والتمثيل يخلص إلى ما يأتي:[27]

- إن إقامة الاستعارة على المشابهة ما زالت تحتل مكاناً مرموقاً في الدراسات الاستعارية الحديثة.
- إن التحليل على ضوء مفهوم خرق قواعد الانتهاء ينبّه إلى التعابير المجازية بصفة عامة سواء كانت علاقتها المشابهة أم لم تكن، مما يعفينا من كثرة التقسيمات التي نجدها في كتب البلاغة.
- إن هناك تداخلا بين الاستعارة والكناية والمجاز المرسل، يتجلى في الانطلاق من عملية استدلالية لفهم الخطاب وفي عملية انتقاء عناصر دون أخرى.
- إن مختلف وجهات النظر في الاستعارة لا تتزاحم، ولكنها تتكامل، إذ ليس ثمة نظرية واحدة قادرة على صياغة قوانين لإنتاج الاستعارة وتأويلها، وذلك لأن الاستعارة ليست تعبيراً عما هو كائن وحسب، ولكنها تخلق ما ليس بكائن أيضاً.
- إن الخطاب اللغوي يبنى من مادة الألفاظ التي تؤلّف بينها آليات التركيب بنوعيه يستوعبها جميعاً التناص.

5. خاتمة:

مصطلح التشاكل (**Isotopie**) بمفهومه السائد في الدراسات النقدية والأدبية السيميائية المعاصرة نجده قد تأسس عند الغربيين وتبلور لديهم، أمثال (راستي، كورتيس، مارتن، وجماعة مو)، ثم تعددت زوايا رؤيته في النقد المغاربي المعاصر، حيث نلمح في تعريف **عبد المالك مرتاض**أنه يمكن أن نلمح فيه العديد من الملاحظات أهمها اعتماده على المفهوم الغربي كأساس، خاصة من ناحية دور التشاكل بالنسبة لخدمته للدلالة، إلا أن هذا لا ينفي اجتهاد مرتاض في مفهوم التشاكل. حيث يظهر في إشارته إلى أمر لم يشر إليه أصحاب مدرسة باريس ألا وهي طريقة إنشاء التشاكل أو مسببات وجوده في الخطاب الأدبي الأمر الذي أطلق عليه مرتاض: التكرار، التماثل...

وأما **عبد القادر فيدوح** بعدماأحاط بما جاء به "غريماس" وتلاميذه أراد -هو أيضا- توسيع مفهوم التشاكل لينفتح به على أفق التأويل الواسع في نطاق من التلقي الحر الذي لا يحدد مقصدية معينة للمتلقي، وإنما يترك له الحرية في استجابة خاصة تخضع لمعارفه وأفق تقبله ووفق ما ينسجم مع رؤيته، فالتشاكل لديه يجمع بين الجمالية والتأثرية والانفعالية.

وبالنسبة إلى **محمد مفتاح** فإن التشاكل عنده لا يحصل إلا من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة، ومعنى هذاأنه ينتج عن التباين؛ فالتشاكل والتباين إذاً لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، باعتبار أن الظواهر العالمية والسلوك الانساني يتحكم فيها مبدآن هما (التشاكل والتباين)، وقد خصص محمد مفتاح الحديث عنهما في ميدان وحيد وهو الكلام الانساني، وخصوصا الخطاب الشعري، فبالتباين يحصل الفهم للنص المقروء، ويتحقق انسجامه، كما نجد له حضوريا إجرائيا بتشاكل الصوت والمعنى، والتشاكل التركيبي والبلاغي.

5. الهوامش:

(1)- جماعة من الباحثين: مشروع محمد مفتاح، –دراسات في المنهج والمصطلح والمرجع- تنسيق: سعيد عبيد، مطبعة آنفو-برانت، فاس، المغرب، (د.ت)، ص 83، 84.

(2)- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 20.

(3)- جماعة من الباحثين: مشروع محمد مفتاح، تنسيق: سعيد عبيد، ص 84.

(4)-محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 84.

*- وضّح عبدالإلهسليم التشاكل عند راستي في
كتابه:بنياتالمشابهةفياللغةالعربية،دارتوبقاللنشر،الدارالبيضاء،المغرب،ط 1،سنة2001 ص 93.

(5)- جماعة من الباحثين: مشروع محمد مفتاح، تنسيق: سعيد عبيد، ص 85، 86.

(6)- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1994، المجلد 11، ص 256، 257.

(7)- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي و زكرياء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008 ص 881.

(8)- مجموعة من المؤلفين: معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، ص 92.

(9)- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان، ط1، 2001، ص511.

(10)- ينظر: منير سلطان: الإيقاع في شعر شوقي الغنائي، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ط1، 2000، ص 352.

(11)- صالح لحلوحي: التشاكل والتباين في شعر مصطفى الغماري، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، العدد 17، جانفي 2013، ص 124، 125.

(12)- ابن رشيق القيراني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، دار الجيل بيروت، لبنان، ط5، 1981، ص3.

(13)- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار ومكتبة الهلال، لبنان 2000 ص 493.

(14)- ينظر: عبد المالك مرتاض: نظرية القراءة، تأسيس النظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، الجزائر، 2003، ص 246.

(15)-
عبدالملكمرتاض،شعريةالقصيدة،قصيدةالقراءة،تحليلمركبلقصيدةأشجانيمانية،دارالمنتخبالعربيبيروت ، 1994، ص 43.

(16)-عبد المالك مرتاض: نظرية القراءة، ص 133.

(17)- ينظر: عبد المالك مرتاض: نظرية القراءة، ص 126، 127.

-(18)

عبدالقادرفيدوح،دلائليةالنصالأدبي،دراسةسيميائيةللشعرالجزائري،ديوانالمطبوعاتالجزائرية،الجزائر ط1، 1993، ص 97، 111.

-(19)

رشيدبنمالك،قاموسمصطلحاتالتحليلالسيميائيللنصوص،عربي،إنجليزي،فرنسي،دارالحكمة،الجزائر 2000ص94 .

(20)-محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص 25.

(21)- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 21.

(22)- ينظر: نفس المرجع، ص 32، 33.

(23)- ينظر: نفس المرجع، ص 41.

(24)- ينظر: نفس المرجع ،ص 57، 58.

(25)- ينظر: نفس المرجع ص 70.

(26)-نفس المرجع ص 81.

(27)- ينظر: نفس المرجع ، ص 116، 117.